الخاتمة

لقد بذل "جيمس" جهداً بالغ الأثر في الاهتمام بمشكلة الحقيقة *The Truth* فقد درسها دراسة مستفيضة من مختلف زواياها. فقد اتجه في دراسته إلى نبذ التصور الفكري المجرد للحقيقة إذ اعتبره بمثابة تصور لفظي خال من أي مضمون واستعاض عنه بالتصور البراجماتي *Pragmatic Concept* والذي رآه بمثابة التصور الوحيد الذي يلائم الوقائع وينسجم مع التجريبية الأصيلة.

لم يصبح امتلاك الحقيقة غاية في ذاته ، فهي لا تزيد عن كونها وسيلة أو أداة *Instrument* لإشباع اهتماماتنا المتجددة وما دمنا في عالم وقائع وهذه الوقائع متجددة وبالتالي تكون احتياجاتنا متجددة لذلك فمن الواجب أن نواصل السعي وراء الأفكار الحقيقة. فالقيمة العملية للأفكار الحقيقية تستمد من أهميه هذه الموضوعات بالنسبة إلينا.

إذن فالحقيقة لها وظيفة ، تنحصر في الربط بين أجزاء تجربتنا ربطاً عملياً ناجحاً مرضياً وهنا يتضح الاتفاق بين "جيمس" ، "جون ديوى" ، حيث يقرر جيمس أن صدق الأفكار يعني قدرتها علي العمل. فالقيمة العملية للأفكار الحقيقية تستمد من الأهمية العملية لموضوعاتها بالنسبة إلينا.

ولقد تسلل مفهوم جيمس للحقيقة إلى مختلف القضايا الفكرية التي ناقشها ، فاختلط – هذا المفهوم – بنظرته للوجود وكذلك بمبحث المعرفة ، كما اختلط بمناقشته للدين فنجده يتجه بالدين بعيداً عن الطقوس والعادات وقريباً من الشعور والعاطفة التي تمثل روح الدين وكأن الحقيقة الدينية مجرد نزعة وجدانية علي الرغم من أن المعتقدات الدينية والطقوس والفرائض التي هي من الدين بمثابة الجسد من الروح لا انفصال بينهما.

وقد اختلط مفهومه للحقيقة بمناقشاته الأخلاقية حيث جعل الحقيقة مثل الخير فكما أن حقيقة الفكرة تعبر عن الملائم في مجال التفكير فكذلك الخير هو الملائم في مجال السلوك.

ومـــن خـــلال دراستنا لمفهوم الحقيقة لدي جيمس واختلاط هذا المفهوم بالحقائق الدينـــية والأخلاقية والصعوبات التي واجهت ذلك. يمكننا أن نصل إلى عديد من النتائج بعـــض هـــذه النـــتائج تتناول إيجابيات فلسفة الحقيقة لدي جيمس والبعض الآخر يتناول أوجه القصور والسلبيات في هذه الفلسفة.

أولا : النتائج الإيجابية :

- لقـــد ســـاعد موقف "جيمس" النقدي من المذاهب العقلية والتي كانت تسعي إلى تفسير الواقع بمبادئ عقلية صرفه إلى تقويض هذه المذاهب بعض الشيء.
- اهـــتمام "جـــيمس" بالجانـــب الوجداني والعواطف الوجدانية في تفسيره للحقيقة أضـــفى التـــي عليها الطابع الإنساني. فلا توجد وقائع تتسم بالكمال وانما تتسم بالمرونة بل ويساهم العقل البشري في إحداثها.
- فتح جيمس أمام الإنسان آفاقا واسعة حيث يشعر المرء بأنه متصل اتصالاً وثيقا بـــالواقع نفسه ومتحرر من كل ما هو إنساني محض ، وذلك من خلال المجهود الشخصي الذي يبذله المرء ذاته.
- عـــدم إقـــرار "جـــيمس" أي أفكار سابقة ممكن الرجوع إليها في أي فكرة. وأن فكرتـــنا عن الأشياء هي فكرة عنها تقدمه من نتائج مباشرة أو غير مباشرة. بذلك نجد "جيمس" قد تجاوز النظر إلى الماضي بالنظر إلى المستقبل وبذلك انتقل من دائرة ما ينبغي أن يكون إلى دراسة ما هو كائن وبذلك أصبحت الحقيقة في حالة انفتاح علي الواقع ومتصلة اتصالاً كبيراً بالأحداث وبمثابة نظرة للمستقبل.
- ارتـــباط الفكـــر بالواقع والمجتمع فالحقيقة يجب أن تكون متلائمة مع غيرها من الحقائق الأخرى كما يجب أن تكون متوافقة مع معتقدات غيرنا من الناس فيري " أن قراراتنا تحدد بالمفاهيم الثقافية السائدة بالمجتمع الذي ينتمي إليه"[1].

---

1. Menan, Louis : The return of pragmatism, op-cit., P.58

وقـد أكـد علي هذا "جون ديوي" حيث يري أن الفكرة الصائبة هي الفكرة التي تؤدي دورها في الواقع بنجاح.

"فالفكـر في أساسه إنما هو أداة لخدمة الحياة لذلك لا يحصر "جون ديوي" قيمة الفكـرة فـي الإشباع *Satisfaction* الذي تحققه لنا ، بل في "القيمة الوظيفية" لتلك الفكرة حين تجئ فتحل الصراع أو الإشكال الذي أريد لها ان تنهيه"[٢].

وكما أن لفلسفة جيمس بعض الإيجابيات إلا أن لها سلبيات متعددة النتائج السلبية :

- إذا نظـرنا إلـى الحقـيقة عـند جيمس أن الحقيقة علي نوعين ، لأن موضوع التصور إما أن يكون شيئاً خارجياً في هذه الحالة تكون الفكرة حقيقية لموضوع مـا ، هي تلك التي تقودنا إلى إتيان أفعال تدفعنا لهذا الموضوع. وإما أن يكون موضـوع التصـور مـنهاجاً عملياً لإرضاء حاجة نفسية وفي هذه الحالة تكون القضـية حقيقـية عندما يستتبع التسليم بها نتائج مقنعة ومرضية ومحققة لجميع مطالبـنا.إن اتجاه جيمس إلى جعل معيار الحقيقة يتوقف علي مدى ما تحققه من خـير للإنسان فيه هبوط بالحقيقة إلى مستوى المنفعة وفي هذا قضاء مبرم علي الحقـيقة – صـحيح القول – أن المنفعة الحقيقة تكشف لنا جوانب كبيرة وذات أهمية إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون معياراً للحقيقة.
- لقد جعل جيمس حكمنا علي الأشياء يعتمد بالقدر الأكبر علي الذات وبذلك تكون الأهواء والمصالح الشخصية هي معيار الحكم علي ما هو حقيقي وغير حقيقي. وبذلـك تتوقف حقيقة الفكرة علي ما أراه وما يراه غيري. وبالتالي تتعدد الآراء والمعـتقدات بالنسـبة للأفـراد ، بل إنها قد تتعدد بالنسبة للفرد نفسه في بعض

---

٢. أ.د/ وليم فرج : قراءات في الفلسفة المعاصرة – دار الثقافة للطباعة والنشر – الطبعة الثانية – ١٩٨٧ – ص١٣٩.

الحـــالات وفقـــا لميوله ورغباته وحالاته المزاجية والنفسية وبذلك تكون الحقيقة لدية حقيقة ذاتية.

- إن اعتـــبار الحقيقة مجرد وسيلة *Instrument* يجعل الحقيقة تفقد قوتها الإقناعيه فالحقيقة لا تكون مقنعة إلا إذا كانت غاية في ذاتها.

- مفهـــوم جـــيمس عـــن الحقيقة وارتباطها بالواقع العملي الذي يؤدي إلى خدمة الإنسان جعل البراجماتي لا يهتم بالواقع إلا بالقدر الذي يفيده ليكون متماشيا مع مصالحه الشخصية وحاجاته الفردية فلا يهتم إلا بما يعنيه ولا يعترف بحقيقة إلا بما تؤدي إلى تحقيق أغراضه وبالتالي قد تتحول الأبحاث البراجماتية إلى أنواع مختلفة من المثالية.

- إيمـــان جـــيمس بـــأن المنفعة والحاجة هما محور صدق الفكرة والأساس الذي يـــدور حـــوله تفكـــير الإنسان فيه إغفال جانب كبير من حياة الإنسان حيث أن العلاقات الإنسانية بين الناس في المجتمع لا تقوم علي الأساس النفعي فقط ولكن مـــن اجـــل عمل الخير لذاته بصرف النظر عن العائد منه فافضل عمل يقوم به الإنسان هو المحبة. أما جيمس فقد أقام تلك العلاقات البشرية علي أساس المنافع العملية فقط.

- وإذا نظـــرنا إلـــى القضـــايا الأخلاقية لدي جيمس نجد أنها تصدر عن نزعتين إحداهمـــا النزعة الحسية والأخرى النزعة الروحية ، ولذلك فإنها تحتمل عملين يتمـــثل الأول فـــي اللـــذة والآخر الواجب. فأي منفعة يقصد إليها البراجماتي ، يجيـــب علينا : إنها المنفعة العليا ، ولكن كيف تتم عملية ترتيب المنافع ؟ وكيف يخضع بعضها البعض ؟ وأي حق يتم إخضاع بعضها لبعض ؟

- تطبـــيق "جـــيمس" لمنهجه البراجماتي علي الحقيقة الدينية نجده يساوى بين كل العقـــائد الدينـــية سواء أكانت ديانات سماوية أو كانت من البدع فإذا كان معيار التسليم بحقيقة عقيدة ما فما الذي يعود علي المؤمن بها من منفعة وما تسببه من راحـــة وطمأنينة فإن أية عقيدة في نظر المؤمن بها – مهما تكن قوة إنكارنا لها

تعتبر حقيقية علي اعتبار أنها نافعة ومفيدة. فيجب أن نسلم بالحقائق سواء كانت دينـــية أو غير دينية لأنها في حد ذاتها حقيقية بصرف النظر عن نتائجها سواء المباشرة أو غير المباشرة.

- نظـــرة جـــيمس إلـــى الإله علي أنه إله متناه يشارك الإنسان في همومه وكذلك يشـــاركه الإنسان في تشكيل وصنع العالم المحيط بنا وكما يقول جيمس – الإله الـــذي نقبل منه المدد والعزاء ليس إلها مفارقا ولا إلها متحدا بالعالم.والقول بأن الإله متناهياً فهو بالتالي ليس إلها بمعني الكلمة لأنه ليس العلة الأولي. وإذا كان الإلـــه متناهـــياً فكيف نستمد منه العون الإلهي ؟ وكيف يحقق للمؤمن حالة من الإشباع والتوافق والانسجام مع نفسه ومع الواقع المحيط به.

- تتســـم التجربة الدينية ببعض السمات إحداهما القلق من الألم أو الشر والأخرى شـــعور بالـــنجاة مـــن الألم والشر بفضل "قوة عليا" تشهد بفعلها في حياة النفس نـــتائجه الحســـنة. فهذا الاتجاه من جيمس نحو العاطفة والوجدان لإثبات وجود الحقـــيقة الإلهـــية يـــؤدي إلى تعدد الآلهة بتعدد التجارب الدينية وبتعدد تصور الأفراد لحقيقة الذات الإلهية.

وقد عبر برجسون عن فلسفة الحقيقة عند جيمس في المقدمة التي كتبها للترجمة الفرنسية لكتاب البراجماتية فقال "بينما ترى المذاهب الأخرى أن أية حقيقة جديدة إن هي إلا إكتشاف ، ترى الفلسفة البراجماتية أنها اختراع"

ولا يعنـــي هذا أنها تحكم وتعسف ، بل يعني أنه كما أن الاختراع الصناعي إنما يـــتقدم بفضـــل فائدته العملية فقط كذلك القضية الصادقة هي التي تزيد من سلطاننا علي الأشـــياء. فنحـــن نخـــترع الحقـــائق لنستفيد من الوجود كما نخترع الأجهزة الصناعية لنستخدم القوى الطبيعية.

وبذلـــك ساهم جيمس مساهمة أصيلة في تطور الفكر الفلسفي الأمريكي بحيث قد يجـــوز لـــنا القول ان فلسفة جيمس فلسفة أمريكية قلبا وقالبا. فلئن كان ثمة أفكار أوربية فيها فقد انصهرت في بوتقة البراجماتية وتبلورت في اتجاه جديد جعل للفلسفة الأمريكية مكانة مرموقة بين سائر الفلسفات المعاصرة.